الدور الاوربي في الإصلاح في الوطن العربي

د.رواء زكي يونس الطويل
استاذ مساعد/ قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية
مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل

المستخلص

يستحيل تفسير التطورات التي حدثت في العالم العربي والإسلامي بانفصال عن العالم الأوروبي وعن التدخلات الخارجية. التي تفسر كل شيء في العالم الثالث بالاقتصاد وبالمصالح الاقتصادية الغربية، وأفضل التأويل هو السياسي للوقائع. إن السياسة والتدخل الاستعماري أوجد كيانات الدول العربية الحديثة كالعراق وسوريا ولبنان والأردن وسواها.

المقدمه

يعرف قاموس اكسفورد الإصلاح "تعديل او تبديل نحو الافضل في حالة الاشياء ذات النقائص، وخاصة في المؤسسات والممارسات السياسية الفاسدة او الجائرة؛ إزالة بعض التعسف او الخطا". الإصلاح يوازي فكرة التقدم، وينطوي جوهريا على فكرة التغيير نحو الافضل، وخاصة التغيير الاكثر ملائمة من اجل تحقيق الاهداف الموضوعة من قبل اصحاب القرار في حقل معين من حقول النشاط الإنساني(١). يمكن التمييز بين ثلاثة مستويات للإصلاح الاول: الإصلاح بوصفة استراتيجية للوصول إلى السلطة او المشاركة فيها، وهي الاستراتيجية التي تقابل ما يعرف باستراتيجية الثورة، او

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

الاتجاه التوري في التغيير، الثاني: الإصلاح بوصفة عملية تطوير مجتمعي مستمرة تتعلق بتحسين اداء الانظمة والمؤسسات الاجتماعية من حيث الكفاءة والفعالية، وهو ما نطلق عليه الإصلاح السياسي او القانوني او المالي او الإداري او الاقتصادي، وغير ذلك، الثالث: الإصلاح الفردي، وابعاده القيمية والاخلاقية والنفسية والمعرفية والإدراكية والسلوكية، وكل ما يتعلق بتقويم النفس وتهذيبها.

ان تعريف الاصلاح يختلف تماما عن مفهوم الثورة حيث تعد الثورة هى مفهوم شامل للتغير فى شتى قطاعات المجتمع وذلك للاطاحة بنظم الحكم الحاكمة السلطوية باعتبارها تضر بمصلحة الدولة وايضا تضمن تعديل الدستور الحاكم، اما الاصلاح هو تغير جزئى حيث يشمل احد قطاعات المجتمع فلا يتحقق الابتعاون الحكومات والمجتمع المدنى ومؤسسات القطاع الخاص للسير فى طريق تحقيق ذلك الاصلاح المنشود(٢).

اهميه البحث: تاتى اهمية البحث فى ان قضية الاصلاح فى العالم العربى قد اصبحت ضرورة هامة وخاصة مع تطلعات الشعوب ورغبتها فى تحقيق اصلاح حقيقى وتزداد اهمية الموضوع مع انتشار موجه التحول الديمقراطى على مستوى العالم باكمله وخاصة فى ظل العولمة وانهيار الفواصل بين الدول المختلفة ومن تم اصبح لا يوجد الفاصل بين ماهو داخلى وما هو خارجى. وتنبع اهمية الموضوع ايضا فى ان البحث يحاول الوصول الى النوايا الخفية وراء المبادرات والضغوط الامريكية للاصلاح ومدى صلاحيتها للتطبيق فى العالم العربى.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

لم تعد افكار التغيير والاصلاح فى العالم العربى التى ذاعت وتكاثرت عقب اجراءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ مجرد افتراضات نظرية ينشغل بها المفكرون والباحثون وانما اصبحت بعد ٢٠٠٥ واقعا حيا صاخبا ينغمس فيه الناشطون السياسيون والمواطنون العاديون على امتداد بلاد عربية عديدة.

مشكله البحث: اصبحت قضية الاصلاح فى الوقت الراهن واحدة من اهم القضايا التى تدور حولها النقاشات والحورات وتختلف حولها الاراء ويجرى النظر اليها باعتبارها ناتج تطور ذاتى لحركة المجتمعات العربية وتعبير عن حاجاتها لتغير الواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى فمنذ بداية عصر النهضة في نهاية القرن التاسع عشر كان الهم الرئيس للنخب العربية هو الإصلاح سواء الإصلاح السياسي او الإصلاح الديني او الإصلاح الثقافي وقد نهض بذلك رجال مصلحون من امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي.

واستمرت شعلة الإصلاح يحملها مفكرون مستنيرون من امثال طه حسين في مصر وجميل صدقي الزهاوي في العراق وعشرات غيرهم في كل انحاء العالم العربي، وفي بداية النصف الثاني للقرن العشرين ومع سيطرة الفكر الشمولي لم يكن لهذا المصطلح مكانٌ في عقول المتنورين والشباب، فالهم المعرفي والحياتي كان على مفهوم التغير الاجتماعي المرافق لمصطلحات "الثورة" و "العنف الثوري".

وركزت الدعوات على اولوليات التغير الاقتصادي والاجتماعي بالطرق الانقلابية او الثورية مع الدعوة للتحرر الوطني من الاستعمار سياسيا واقتصاديا ، ولكن اهملت قضايا الديمقراطية والحريات العامة او اجلت ، او طرحت بشكل يتماشى مع الافكار الشمولية المسيطرة(٣). ولكن اضطربت وتخلخلت

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

المفاهيم والافكار لدى المتقفين لعدة عوامل وهي إجهاض التجربة الناصرية التي كانت تمثل المحاولة الجدية الوحيدة بعد محاولة محمد على في القرن التاسع عشر للنهضة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والخروج من تحت سيطرة القوى الكبرى، خضوع الاقطار العربية لانظمة مختلفة منها الملكية ومنها الجمهورية الشمولية..الخ، سقوط الاتحاد السوفيتي وسقوط الفكر الشمولي معه، انهيار جدار برلين واثره في العالم والمفاهيم والافكار، النظام العالمي الجديد سواء سيطرة القطب الواحد او سيطرة الامبريالية الجديدة على العالم(العولمة)(٤).

فرضيه البحث: يفترض البحث ان الاصلاح في الوطن العربي يجب ان يكون قادر على الاستجابة للواقع العربي، وتاكيد استقلالية العقل السياسي العربي في حل ومعالجة مشكلات التطور السياسي في المنطقة.

هدف البحث: يهدف البحث الى بيان ضرورة الاصلاحات والتغيير في الوطن العربي ومناقشة فكرة رفض التغيير لانه وافد من الخارج، فرياح التغيير ومنذ مدة طويلة تفوق القرنين تاتي من الخارج، وخاصة في العالم العربي وموجات التحديث والحداثة والتغريب كانت وافدة. والمشكلة هي مضمون هذا التغيير والشروط التي تصاحبه والطريقة التي يفرض بها، فإذا كانت الولايات المتحدة ترى في منجزاتها التي تحققها في العراق اي إعادة بناء الدولة الحديثة وفصل الدين عن الدولة لاحتواء صيغ التعدد المذهبي والعرقي او مبادرتها للإصلاح والتسوية في السودان او مشروعها للإصلاح فى افغانستان، مبررات لفرض النموذج الذي تراه صالحا في المنطقة، فإن هذه المبررات غير كافية بل ولا تضمن استقرارا لهذا النموذج لان منطق هذا النموذج هو القوة التي تعوزها المشروعية الاخلاقية والقانونية.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

معادله التغيير والإصلاح في الوطن العربي

في ما يتعلق بمعادلة التغيير والإصلاح في العالم العربي، فإن هذه المعادلة قد ربطت بين تسوية الصراع العربي الإسرائيلي والاتجاه قدما نحو الإصلاح، بمعنى ان بدء التغيير والإصلاح مرتهن بتسوية هذا الصراع واسترداد الشعب الفلسطيني للحد الادنى من حقوقه المشروعة في الدولة والقدس، بيد ان منطق هذا الربط والارتهان بسوء نية ام بحسن نية يبدو انه في الواقع لم ولن يفضي إلى حل وتسوية اي من طرفي هذه المعادلة، فلا التسوية قد تحركت في الاتجاه المنشود وبقيت قضية الإصلاح والتغيير مدونة على جدول الاعمال العربي، ومجرد فكرة لم تر النور بعد رغم العديد من الخطوات هنا وهناك في هذا الاتجاه، ومع ذلك فإن هذه الخطوات لم ترق إلى مستوى التغيير المنشود عربيا او دوليا واصبحت مقولات الإصلاح والتغيير تزداد كثافة بمرور الزمن،وضروراته تزداد إلحاحا واتساعا، بحيث ان مثل هذه الخطوات تبدو، او قد بدت فعلا، ضئيلة مقارنة بحجم هذا التغيير المطلوب(٥).

لقد عزز هذه المعادلة الاتفاق الضمني بين الجانب العربي والولايات المتحدة الامريكية، حيث اصبح حل وتسوية الصراع العربي الإسرائيلي مسؤولية الولايات المتحدة الامريكية، في حين ان العرب والدول العربية يتكفلون بتنفيذ الشق الثاني من المعادلة اي البدء في إجراءات هيكلية للإصلاح والتغيير وإرساء قواعد الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان،فالديمقراطية عملية مؤسسة تقوم على التفاعل المؤسسي والعملية الديمقراطية تتطلب في المقدمة تنمية قدرات ومؤهلات المؤسسات السياسية لكي تكون قادرة على اداء دورها(٦).

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ان الإبقاء على معادلة الإصلاح والتغيير بشكلها السابق لم يعد يتلاءم والاوضاع الراهنة، فمن ناحية خلقت الظروف الدولية والسيطرة الامريكية على شؤون العالم شروطا ووقائع جديدة في سياق ما بعد ١١سبتمبر والحملة على الإرهاب، ومن ناحية اخرى اصبحت هذه المعادلة فاقدة للمصداقية على الصعيد العربي الداخلي، فالإبقاء على الامر الواقع الراهن لم ينعكس على تقدم التسوية للصراع مع إسرائيل، واصبح الربط بين تغيير الاوضاع الداخلية وتسوية الصراع في نظر المواطنين مجرد حجة لاستمرار الوضع الراهن، فبعد هزيمة ١٩٦٧ وضم اسرائيل لاراضي عربية جديدة، وماعقب ذلك من تنازلات سلمت في كثير من الحقوق العربية، انتشرت دعوى بين المثقفين العرب مؤداها ان كل هذا الذي حصل له تفسير واحد، هو غياب الديمقراطية وما يترتب عليه من مصادرة الحرية وحقوق الانسان(٧).

وقد يكون ذلك هو منطق مبادرة الشرق الاوسط الكبير الامريكية التي قد تحظى بتعاطف اوروبي، والتي تبرئ ساحة الولايات المتحدة الامريكية من الانحياز لإسرائيل وتحمّل مسؤولياتها إزاء التسوية والسلام في الشرق الاوسط وتبرئ اوروبا والولايات المتحدة مجتمعتين من تهمة العجز عن الضغط على إسرائيل لإنجاز السلام والاستقرار في المنطقة وهي مبادرة جديرة بالرفض كما فعل الرؤساء والمواطنون، لانها في سياق المعادلة السابقة تتجاهل طرفا ثالثا مسؤولا عن إشاعة عدم الاستقرار والإرهاب في المنطقة الا وهو إسرائيل. وفضلا عن ذلك فهي مرفوضة لانها مفروضة من الخارج بل ولا يعرف حتى المسؤولون حقيقة مضمونها لانها باختصار لم تناقش معهم ولم تخضع للحوار والتعاون وتقويم مدى قابليتها للواقع العربي ثقافيا وحضاريا وسياسيا.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

في هذا السياق فإن الاصلاحات مطالبة بان تعيد تكييف هذه المعادلة بطريقة خلاقة وبناءة وقادرة على الاستجابة للواقع العربي، وتاكيد استقلالية العقل السياسي العربي في حل ومعالجة مشكلات التطور السياسي في المنطقة لذا نما فهم مشترك افضل لدى الباحثين حول دواعي واسباب وشروط الانتقال الى الديمقراطية ولم تعد الشروط المسبقة لازمة لحدوث انتقال الى الديمقراطية(٨).

وهذا التعامل الخلاق قد يتاتى عبر إعادة الاعتبار لكل من طرفي هذه المعادلة اي تسوية الصراع العربي الإسرائيلي والبدء في الإصلاح والتغيير، اي ان هاتين المعضلتين تحظيان بذات الاولوية في جدول الاعمال العربي وتترافقان زمنيا اي لا تتقدم إحداهما على الاخرى، وإذا ما تقدمت فينبغي الا يكون ذلك على حساب الثانية، اي باختصار تؤكد الاصلاحات قدرتها على إحداث قطيعة بمعنى ما من المعاني، مع خبرة الماضي المتراكمة والجامدة التي افضت إلى الموقف الراهن وذلك لا يعني بالضرورة تقليص مكانة القضية الفلسطينية وتسوية الصراع العربي الإسرائيلي بل يعني بلورة صياغة نظرية ومنهجية مضمونها ان الإصلاح والتغيير ينبغي ان يعزز ويدعم تصدّر القضية الفلسطينية والتسوية جدول الاعمال العربي، وان تخلق ديناميكية التغيير والإصلاح شروطا إقليمية وعربية ودولية تفضي في نهاية التحليل إلى تعزيز قدرة العرب الجماعية الديبلوماسية والتفاوضية على تمرير الحل الممكن وباقل الخسائر الممكنة في السياق الحالي، من هنا كان لابد من تحويل جهاز الدولة التقليدي تحت ضغوط القوى الاوربية الراسمالية فكان ماسمي بالاصلاحات والتي ادخلت اما من قبل البلاد المحددة لمواجهة التهديد الخارجي او فرضت فرضا من دول اجنبية(٩).

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ولاشك ان إعادة تاسيس هذه المعادلة على هذا النحو تبدو اكثر جدة وجدية من تلك الحجج التقليدية مثل "رفض التغيير الوافد من الخارج" او "عدم ملاءمة التوقيت"، ذلك ان الولايات المتحدة اول من يعرف حقيقة هذه الحجج ووظيفتها في الماضي والحاضر، فهي تعرف ان جوهر هذه الحجج هو الإبطاء والإرجاء واستمرار الامر الواقع، كما انها تعلم من تجربتها الخاصة ان بناء الديمقراطية هو عملية داخلية سياسية طويلة تتشكل تاريخيا وليس وفق جدول زمني مفروض من الخارج.

بل تعلم الولايات المتحدة الامريكية اكثر من ذلك، فوفقا لدراسة اعدتها مؤسسة كارنجي لابحاث السلام فإن من بين النظم التماني عشرة التي تغيرت على وقع القوة العسكرية الامريكية منذ الحرب العالمية الثانية، خمسة منها فقط هي التي انجزت ديمقراطية يعتد بها ومتماسكة نسبيا الا وهي المانيا وإيطاليا واليابان، والتي توفرت فيها شروط مفتقدة في كثير من دول العالم التي تريد الولايات المتحدة دمقرطتها، بالإضافة إلى بنما وغرينادا اللتين تطمحان إلى الاعتراف بديمقراطيتهما(١٠).

كذلك فإن بناء الديمقراطية يتطلب وجود قادةٍ سياسيين واحزابٍ قادرة على المنافسة بحرية وانتخاباتٍ مفتوحة وحرة. كما يتطلب فصلا بين السلطات، ومستوى اقل من الفساد وحماية للاقليات وحرية التنظيم والاجتماع والتعبير وصحافة حرة وهي عمليات بطبيعتها لا تتم بين عشية وضحاها بل بحاجة للانخراط في عملية تغيير ممتدة ومعالجة لمضاعفاتها الواقعية.

وهذه الشروط السابقة عندما تكون مفتقدة فإن المطالبة بالديمقراطية من قبل القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الامريكية ستتخذ طابعا انتخابيا داخليا بل وستخفض سقف الديمقراطية حتى يتواءم مع المنافسة الانتخابية(١١).

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

الإصلاح في المفهوم الديني

مفهوم الإصلاح الشامل الذي ينشده التيار الإسلامي، يدور حول معنى "التنمية المستديمة" الذي يشمل الإنسان والدولة والمجتمع، و"يتغلغل" في جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والمجتمعية التي يشكل فيها الإنسان مركز الدائرة وتلتف حوله دوائر كثيرة، اهمها: دائرة الحرية التي بغيابها تحل بالبشر اعظم كارثة، وتتجسد في حياتهم اعلى صورة من صور الفساد في الارض؛ ذلك ان الله -سبحانه وتعالى- خلق الإنسان، ومنحه حرية المشيئة، وعندما تصادر هذه القيمة الإنسانية العظيمة فإنما تتم المصادرة على معنى وجود الإنسان من الاساس، وتلك ابشع جريمة ترتكب على وجه الارض، باعتبار ان رسالة جميع الرسل والانبياء تهدف في الاساس إلى تحرير الإنسان من العبودية لغير خالقه سبحانه وتعالى.

وقد حسم الإسلام هذا الموضوع بان حمل الإنسان(مشيئة الإرادة الحرة) قال تعالى: "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"(١٢)، وقالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارًا؟"، وراى ان هناك بعض الحقائق حول الحرية ينبغي الإحاطة بها، ليس هناك حرية بدون قدرة، فالذي يقول إنه حر لا بد ان يملك مقومات الرفض كما يملك مقومات القبول، ليس هناك مجال للحرية بالمعنى المطلق، فلا بد ان تنتظم تلك الحرية مع قيم المجتمع ومبادئه واعرافه، الحرية حق لمن يعمل وينتج ويشارك الاخرين الحياة، المساواة بين الناس اجمعين في ممارسة الحقوق(١٣). اما صور الإصلاح الشامل من المنظور الإسلامي فهي :

١- الإصلاح التعليمي: الذي يقوم على الطريقة العلمية في اتصال التربية والتعليم بمقتضيات الحاضر والمستقبل تعليميًا لا تلقينيًا، يتصل باحتياجات

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

المجتمع، ويشمل كل الامة- ذكورًا وإناثا- ويتحول إلى عمل يومي مستمر، لا ينتهي بالتخرج من فصول الدراسة، بل يستمر لتاهيل النشء لإخراج طاقاتهم وقدراتهم الكامنة، وتزوديهم بكل ما من شانه ان يغرس فيهم القدرة على رجاحة الحكم، والإعلاء من قيمة الحوار، وتثبيت معنى الاختلاف والتعدد على انه من حقائق الحياة، وان يتعلم كيف يقول "نعم" وكيف يقول "لا" في اعتزاز وكرامة، وان يتعود على التفكير الإبداعي المتمر الذي يرفض التقليد، ويتاكد لديه الشعور الذاتي بالمسؤولية والعطاء والمشاركة والتعاون، وهو ممتلئ إحساسًا بالكرامة التي ارادها له خالقه عز وجل، قال تعالى في كتابه الكريم " يايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساءا واتقوا الله الذي تساءلون به الارحام"(١٤).

ب -الإصلاح الاقتصادي: الذي يتجه نحو العدل الكامل في توزيع الثروة والدخول باتباع سياسات عملية صحيحة لبناء نهضة شاملة، تكون الركيزة الاساسية فيها تنمية القدرات، وتهيئة مناخ التشغيل الكامل، وتوفير فرص عمل جيدة، وتامين اجتماعي فعّال، وقد اثبتت كثير من تجارب الإصلاح الاقتصادي الحديثة -خاصة في التجارب الاسيوية- ان المشروعات الصغيرة من اهم ادوات توفير فرص العمل،وقد انطلق الاسلام في نظرته للمساواة من ان اسلم هو العلاقة الاصيلة بين الناس، وعلى هذا الاساس بين الاسلام سياسته الاصلاحية فيما بين المسلمين بعضهم مع بعض وفيما بينهم وبين غيرهم من مواضيهم او من الامم المختلفة(١٥)، كل هذا يتطلب قيام روح اجتماعية جديدة تتعاون فيها حكومة نشطة ذات قدرات فعالة مع قطاع خاص واهلي يتمتع بالحيوية والإحساس الوافر بالمسئولية الاجتماعية ومؤسسات مدنية قوية تمثل مختلف فئات الشعب من برلمان ونقابات وصحافة وجمعيات اهلية واجهزة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

رقابة شعبية، وإصلاح الجهاز الإداري إصلاحًا كاملا وتحديثه وتطويره على ارفع مستوى من مستويات الاداء الإداري الفعال، واعتقد ان مجتمعاتنا تملك من الطاقات والقدرات في علم الإدارة ما يكفل تحقيق كل ذلك على نحو صحيح تمامًا فالى جانب المساواة فقد كانت مبادئ العدل والقسط والانصاف من المبادئ الجوهرية التي اكدها الاسلام، وجاءت بها ايات القران الكريم وان الله يامر بالعدل والاحسان(١٦).

ج - الإصلاح السياسي: ليس للتيار الإسلامي اي تصور لتنفيذ الإصلاح السياسي صندوق الانتخاب، وليس من وسيلة اخرى على الإطلاق لتحقيق هذا الإصلاح المنشود إلا الديمقراطية الإنسانية من خلال:

اولا - المواطنة في الدولة المدنية المنشودة هي اساس الوجود في المجتمع داخل إطار ديمقراطي، وكل من رضي بهذا الإطار يكون على قدم المساواة مع الاخرين بكل اتجاهاتهم الفكرية والسياسية، والجماهير هي الحكم من خلال انتخابات حرة ونزيهة، مع التاكيد على وضع كل الضمانات التي تحفظ التحييد والنزاهة، حتى يتحول شرف الصوت الانتخابي للفرد إلى جزء لا يتجزا من شرفه الشخصي، وذلك بفضل مايحمله الاسلام من منظور انساني للوحدة الانسانية والمساواة في الحقوق والواجبات والذي تشير اليه الاية الكريمة " يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم(١٧).

ثانيا -النظام الديمقراطي النيابي -من برلمان واحزاب وتعددية كاملة- هو اكثر الصيغ فعالية لحماية الحرية، والحفاظ على قوة المجتمع، ومنع الاستئثار بالسلطة الذي يكاد يكون عيبًا إنسانيًا لا يخلو منه بشر؛ لذا فإنه يتحتم على نحو

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

صارم وضع القوانين والدساتير وادوات المراقبة والمساءلة التي تحدّ من الاثار البشعة لهذا العيب على الشعوب والاوطان.

ثالثا - إعلاء شان الامة على شان الدولة، فالدولة الديناصور -كما وصفها "توماس هويز"- اصبحت احد اسوا العيوب في حضارة إنسان القرن الحادي والعشرين؛ الامر الذي يستوجب تقوية الاحزاب والنقابات والجمعيات الاهلية، وكل ما من شانه ان يجعل دور الامة فاعلا ومؤثرًا ومانعًا من(توحش) الدولة.

رابعا - المساواة السياسية والقانونية الكاملة بين كل فئات المجتمع وطوائفه، ووضع كل الضمانات لحماية هذه المساواة من اي انحراف سياسي او مذهبي،لان العدل نظام الله وشرعه والناس عباده وخلقه يستوون ابيضهم واسودهم، وذكرهم وانثاهم مسلمهم وغير مسلمهم،اما عدله وحكمته(١٨)

د - المراة والإصلاح الشامل :

ان الاصل في التكاليف الإسلامية هو العموم، فليس هناك إسلام للرجل وإسلام للمراة، والمجتمع السوي الصحيح يتحرك افراده في طهر وتلقائية دون حرج او عقد او توتر في اتصال افراده بعضهم ببعض .قال تعالى في كتابه الكريم " يايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين "(١٩).

كما ان المراة تكوين عقلي وروحي، ونفسي وجسدي، والإسلام يحضها على ان تقدم نفسها للمجتمع بعقلها وفكرها وروحها بكل ما تملك من قدرات وإمكانات، اما جسدها فلا يهم المجتمع في شيء وليس مطروحًا للاهتمام، ولا يجب ان يكون كذلك، وهذه احد الوجوه الارتقاء بالمراة والإعلاء من شانها ككيان إنساني، الإسلام هو الدين الذي قدم شهادة ميلاد(المراة الإنسان) التي تتمتع بكافة الحقوق التي تحفظ لها الكرامة الكاملة.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

حجاب المراة المسلمة هو في حقيقته هوية وانتماء قبل ان يكون شكلا وغطاء، وهناك عدة نقاط متفرقة من المهم للغاية طرحها: نقاط هامة(٢٠):

اولا: الخطاب الإصلاحي الإسلامي خطاب بشري، وليس خطابا مقدسا؛ وإنما هو اجتهاد بشري في فهم نصوص الإسلام الوطنية، مهما كانت مساحة الاختلاف.

ثانيا: ميدان(صناعة الإنسان) وصياغته الصياغة الربانية السليمة هو اهم ميدان في الحركة نحو الإصلاح.

ثالثا: هدف الحكم في رؤية التيار الإسلامي هو سعادة المحكومين، وتحقيق السلام والاستقرار في الداخل، والعزة والاحترام في الخارج، والحاكم وكيل الامة، وليس له عليها سيادة، بل هي سيدته، وهو خادمها.حيث ياتي مبدا الشورى، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليؤكد، الى جانب المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، والحكم بالعدل والقسط والانصاف فضلا عن التكامل الاجتماعي بين جميع المسلمين بااعتبارهم اخوة(٢١).

رابعا: الحضارة الإنسانية في رؤية الإسلاميين يجب ان تسير في حماية امرين اساسيين: السياسة السليمة، والاخلاق القويمة. السياسة السليمة التي تقوم على الحرية والعدل والمساواة بين البشر، فكلهم لادم، وادم من تراب كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. والاخلاق القويمة تعتمد على وضع حاجات الإنسان على اساس سليم، وتهذيب اختياراته ورغباته، وعدم الإلحاح عليه بالالة الإعلانية الساحقة؛ كي يستبد به حمىالافتناء والاستهلاك الذي لا يتوقف عند حد، ويدفع به إلى ما لا تحمد عليه عقباه.

المشكلة الامريكية لدى المسلمين هي في التاييد المطلق لاسرائيل في فلسطين، بحيث تداخلت صورة امريكا واسرائيل في مواقع الرؤية العربية

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

والإسلامية، وزاد على ذلك احتلال للعراق الذي يخالف كل الشرائع والقوانين والاعراف الدولية، وما صاحب ذلك من اقوال عن حروب دينية تخلو من اي فهم حضاري محترم لما استقر عليه التاريخ من ارتقاء بالتدافع الإنساني المثمر، نحو إقامة حضارة إنسانية مزدهرة بالعطاء والحب والتعاون. ان ما يسمى بالإرهاب في القاموس الامريكي ليس دقيقا بما يمثله معنى الإرهاب، بل للاسف هو ما يمثل كل خط سياسي يصطدم بالسياسة الامريكية والصهيونية، فهو مسالة سياسية في حركة السياسة الامريكية اكثر مما هو حركة عنف ضد الامريكيين كشعب وافراد.

رفض الكيفيه التي يطرح بها التغيير

ان ما هو مرفوض ليس التغيير في مضمونه المقترح من الخارج بل الكيفية التي يطرح بها نفسه والطريقة التي يمكن ان ينفذ بها والشروط التي تصاحب إقراره. فالتعاون والتفاهم والتشاور حول مضمون التغيير هو المدخل الحقيقي إلى تنفيذه وليس القوة والقسر والإكراه. من الكتاب العرب الذين وضعوا مسالة اعادة تنظيم السلطة في دعواهم الاصلاحية منذ القرن الماضي، لم يكونوا ينطلقون، كما هو في الشان الاوربي الذين تامروا بافكارهم، من مجتمع تحولت اوضاعه بفعل تطور قواه الخاصة، فاقتضى الوضع تحويل مؤسساته السياسية، اي اعادة ضبط العلاقة بين المجتمع المدني والدولة، وانما التحويل الذي بدات تخضع له الاقطار العربية جاء اساسا، من التدخل الخارجي وادخال البلاد العربية في الاقتصاد الراسمالي العالمي(٢٢)، اما في ما يتعلق بتاكيد الاستقلالية العربية عبر الرفض فهو بحاجة إلى إعادة نظر ايضا، خاصة حول حدود الاستقلالية في الوقت الراهن(٢٣).

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

فقد عصف عصر العولمة بعديد من مقومات السيادة والاستقلال وخلق حالة تداخل كونية في الامن والمصالح السياسية والاستراتيجية، ولابد ان نعي حدود الاستقلالية في الوقت الراهن وطبيعتها في اللحظة الحالية وما إذا كان مجرد الرفض هو تاكيد هذه الاستقلالية ام ان الرفض ليس كافيا بل لابد وان يكون مصحوبا بإجراءات عملية تؤكد قدرتنا على التغيير وعلى إدارة عملية الدمقرطة والحداثة وقد يكون تردي اداء النظام السياسي من مجال الامن والتنمية مثلا ومن تم الوصول الى مازق سياسي stalemate سببا للانتقال الى نظام حكم ديمقراطي باعتباره الخيار المتاح لجميع القوى الفاعلة(٢٤).

اما التعلل بخصوصية الاوضاع الثقافية والحضارية فهي حجة ليست في صالحنا إجمالا. تعني هذه الخصوصية الإبقاء على تردي اوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية وتدني كافة مؤشرات التنمية المستدامة الاقتصادية والبشرية إن الخصوصية تعني في المقام الاول البحث عن حلول مبتكرة لمشكلاتنا من واقع ثقافتنا وعقولنا(٢٥) ورفض النماذج الجاهزة لحلول هذه المشكلات التي تولدت في بيئات ثقافية اخرى لانها لا تلائم واقعنا ولكنها اي الخصوصية لا تعني حصانة اوضاعنا ضد التغيير والإصلاح خاصة عندما تكون افكار هذا التغيير وهذا الإصلاح هي افكار عربية متراكمة منذ نحو قرنين.

في ما يتعلق بالحجة القائلة باننا نعرف طريقنا إلى الإصلاح بافضل مما يعرفه غيرنا لماذا إذن تتعثر محاولات الإصلاح، ولماذا تبدو خطوات الإصلاح تقيلة باكثر مما ينبغي، بل ولماذا يتم تفريغ بعض الخطوات الإصلاحية من مضمونها قبل ان تولد، ما هي القوى الخفية والعلنية التي لها مصلحة مباشرة في ذلك رغم ضرورة الإصلاح والتغيير، والحال ان الخطاب

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

العربي الرسمي حول التغيير هو خطاب تبريرى، ينطوي صراحة وضمنا على الإرجاء والتجاهل والالتفاف حول المطالبة بالإصلاح، وهو ما فهمه الجميع في الداخل والخارج. وذلك يقتضي خطابا جديدا حديثا حول الإصلاح والتغيير يقطع الصلة بالممارسات الخطابية والبلاغية العربية، خطاب يتميز بالاصالة والجدة والجدية والصدق في التعامل مع مطلب الإصلاح كضرورة عربية وقومية وقطرية في ن واحد، وذلك يقتضى الاعتراف الصريح بالحاجة إلى الإصلاح وصياغة اجندة واضحة لمسالك هذا الإصلاح ودروبه السياسية والقانونية والاقتصادية وبلورة جدول زمني للتنفيذ يكتسب المصداقية الداخلية والدولية اخذا في الاعتبار الظروف والملائمات السياسية والحاجات والعقبات الممكنة بشرط الا يكون ذلك مرة اخرى تبريريا(٢٦).

وهذه المبادرة الامريكية كما تعفي اسرائيل من المسؤولية عن تدهور الاوضاع في المنطقة فهي ايضا تستثنيها من جدول الاصلاح وتبقي عليها كما هي كما لو كانت تمثل النموذج الكامل غير المنقوص. وفوق ذلك فإن المشروع لا يذكر القضية الفلسطينية لا من قريب ولا من بعيد ويدفع بهذه القضية الى مجاهل النسيان ويبرّئ القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة من شبهة التقصير في مواجهة استحقاقات التسوية والانحياز المطلق لاسرائيل وينظر الى الجدار العنصري الذي تقيمه اسرائيل بهدف ضم اكبر مساحة ممكنة من اراضي الفلسطينيين كما لو كان امرا مشروعا.

إذا كان صحيحا ان إنجاز تسوية للصراع العربي الاسرائيلي قد لا يفتح الابواب كلية امام رياح التغيير في الشرق الاوسط، فإنه من المؤكد ان تجاهل التسوية سيجعل من الإصلاح مشكلة اخرى بدلا من ان يكون حلا لمشكلات

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

قائمة، يضاف الى ذلك امران يتعلقان بهذه الخلفية المضمرة التي تكمن وراء مشروع الشرق الاوسط الكبير ويضعان علامات استفهام كبرى حوله(٢٧).

اولا ان المشروع في ما يبدو يرتبط الى حد كبير باخطاء السياسة الخارجية الامريكية(٢٨) والادعاء بتغيير العالم واقليم الشرق الاوسط الكبير الذي يمتد من المغرب غربا حتى باكستان وافغانستان شرقا.

ثانيا فهو تاكيد الدور الوظيفي للشرق الاوسط في إطار العولمة، اي تامين مسارات العولمة السياسية والاقتصادية والثقافية عبر تغيير النظم السياسية وارساء الديمقراطية، وهيكلة الاقتصادات وتغيير القيم الثقافية التي تمثل مصادر مقاومة محتملة لمشروع العولمة الامريكي باعتباره مشروعا كونيا لا رادّ له(٢٩). ولا شك ان هذه المنطلقات الظاهرة والمضمرة لمبادرات الاصلاح الامريكية او الامريكية الاوروبية من شان اظهارها وتحليلها تعيين الطريق الذي ينبغي ان يسلكه العرب وابتكار نموذج التغيير الخاص بهم والذي يعبّر عن امانيهم وتطلعاتهم، خاصة وان الخطاب الامريكي حول الديمقراطية في العالم الاسلامي والعربي والعالم عامة، يفتقد الى المصداقية، ذلك ان التجليات العملية للسياسة الخارجية الامريكية قد حفلت بتناقضات ظاهرة ومضمرة فهي التي وقفت وساندت اكثر الديكتاتوريات العسكرية في امريكا اللاتينية وحشية واستبدادا، كما انها ساهمت عن طريق مخابراتها واجهزتها المختلفة في اسقاط العديد من النظم والرؤساء المنتخبين ديمقراطيا، وكان المعيار الامريكي للتدخل هنا وهناك هو المصلحة الامريكية والولاء للولايات المتحدة وليس مصالح شعوب هذه الدول(٣٠).

والوعي العربي يختزن في ذاكرته ذلك الرصيد الامريكي فالشعوب لا تنسى ولكنها قد تغفر للذين اخطاوا في حقها، ذلك لا يقلل من الضرورة الحيوية

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

لاستيعاب الخبرة التاريخية خاصة خبرة الامبراطورية العتمانية في مواجهة الاصلاحات التي فرضها الغرب، حيث بدات هذه الاصلاحات تدريجية متدرعة تارة بحقوق الاقليات الدينية في الامبراطورية واخرى بحرية التجارة والباب المفتوح وانتهى الامر بتفكيك الامبراطورية واضعافها وتقسيم ولاياتها بين القوى الغربية الكبرى نذاك.. صحيح ان العرب حاليا لا يمتلون امبراطورية او دولة واحدة موحدة ولكن الاخطار التي يمكن ان تترتب على تكرار وتوالي هذه الضغوط السياسية والعسكرية قد تستهدف تعميق الانقسامات المذهبية والطائفية والجغرافية وانفلات النزعات العرقية والقبلية(٣١).

ففي يوم ٥ ايلول سبتمبر عام ١٩٢٩، وقف ارستيد بريانذ، رئيس وزراء فرنسا، في عصبة الامم في جنيف، ووجه دعوة حارة الى تحقيق وحدة اوربا في اطار(الولايات الاوربية المتحدة)، والتي قال ان وجودها في منطقة متقاربة يحتم عليها التوحد(٣٢). ولكن عام ١٩٢٩ بالذات كان يرمز الى مرور عقد واحد من الزمن فقط على تطاحن الامم الاوربية في الحرب العالمية الاولى، وهو يقع ايضا قبل عقد واحد في عودتها الى التطاحن في الحرب العالمية الثانية. كما انه يقع قبل ثلاثة عقود طويلة من شروعها في اول مشروع اوربي مشترك للحديد والصلب عام ١٩٥٧، حيث بدات اولى خطوات الوحدة الاوربية(٣٣).

ان الفكر النقدي والاصلاحي العربي قد سبق بكثير المقترحات الامريكية المضمنة في مشروع الشرق الاوسط الكبير والمعدة سلفا للمنطقة.. لقد ترك هذا الفكر الاصلاحي والنقدي ميراثا فكريا متميزا حول حال الامة ومستقبلها واحتياجاتها النهضوية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وساهم في بلورته كافة المتقفين من كل الوان الطيف السياسي والفكري ومن

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

مختلف التيارات التي جاهدت عبر موجات متتالية من النقد الذاتي والموضوعي للمجتمعات والنظم العربية ورسمت مجتمعة خطوط الاصلاح ومعالمه ومضمونه ومبادئه.

إن تكاثر المبادرات الامريكية وغيرها في هذه الاونة ينبغي ان يعيد الاعتبار لمساهمات المثقفين والمفكرين العرب لانهم كانوا اسبق في تاكيد الحاجة للاصلاح والتغيير وتعيين حدودهما على كافة الاصعدة القانونية والسياسية والثقافية والاقتصادية وربما ن الاوان لكي تستلهم السياسات العربية ذلك الرصيد الحقيقي الذي يمثل ويكرس دور مثقفي هذه الامة في نهضتها وهو على اي حال دور ليس جديدا لا في السياسة ولا في الثقافة العربية بل هو قائم منذ نحو قرنين او ما يفوق ذلك(٣٤).

الإصلاحات والمجتمع المدني والسياسي

حذر تقرير التنمية البشرية العربية لعام ٢٠٠٤ من ان ازمة التنمية في الوطن العربي من الجسامة والتعقيد وتشابك الجوانب، بحيث اصبح اي إصلاح لإحدى النواحي المطلوبة لبناء نهضة إنسانية في المنطقة يستلزم ان يمتد إلى جنبات المجتمعات العربية كافة.ويضيف التقرير ان الإصلاح الجزئي لم يعد كافيا مهما تعددت مجالاته، وربما لم يعد ممكنا من الاساس بسبب احتياج الإصلاح الجزئي الفعال لبيئة مجتمعية حاضنة، وان الإصلاح المجتمعي الشامل في البلدان العربية لم يعد يحتمل الإبطاء او التباطؤ .ويستعرض التقرير ابرز المبادرات في هذا المجال، ومنها "بيان مسيرة التطور والتحديث "الصادر عن القمة العربية المنعقدة في مايو ٢٠٠٤ ويدعو البيان إلى استمرار الجهود وتكثيفها لمواصلة مسيرة التطوير العربية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية(٣٥)، كما يدعو البيان إلى تعميق اسس الديمقراطية

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

والشورى، وتوسيع المشاركة السياسية في إطار سيادة القانون، وإلى تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين المواطنين واحترام حقوق الإنسان واستقلال القضاء. كما يشير التقرير إلى إعلان صنعاء ووثيقة الإسكندرية.

لقد قام الفكر السياسي والقانوني الجديد في دائرة الحضارة الغربية منذ القرن الثالث عشر حتى قيام الثورتين الامريكية والفرنسية في القرن الثامن عشر، بصياغة مبادئ واستنباط مؤسسات وتطوير اليات وتوظيف ادوات حكم جديدة. ويتطرق التقرير إلى مضمون الإصلاح المطلوب في البنية المجتمعية العربية على النحو التالي: يتطلب قيام مجتمع الحرية والحكم الصالح إصلاحا متكاملا لنسق الحكم في ثلاثة نطاقات مترابطة: الإصلاح الداخلي، ويشترط إصلاحا مؤسسيا للدولة وللمجتمع المدني والقطاع الخاص لتعزيز مبادئ الإدارة الرشيدة، كما يتطلب تصحيحا لمسار التنمية وإصلاحا سياسيا يشتمل على إصلاح الممارسات، والإصلاح القانوني، وإصلاح البنية السياسية. اما الإصلاح على المستوى الإقليمي فيعني الانتقال من نسق الحكم الإقليمي القاصر القائم حاليا إلى تنويعة من ترتيبات الحكم الإقليمي المتجهة نحو التكامل(٣٦).

كانت التنظيمات الاقتصادية، اي كل ما يتعلق بتحديد علاقات العمل والانتاج في مستواها المعاش، التجارة والصناعة والحرفة والزراعة، تمثل شانا خاصا ثم اصبحت تتضمن مستوى سياسيا عندما فرضت الحاجة الحضارية تدخل الدولة في هذه الحياة الاقتصادية. فالسياسة العامة التي تنتهجها الدولة في معالجة المشاكل المختلفة وتحقيق الرفاهية لافراد المجتمع تتضمن مجموعة من السياسات الفرعية المترابطة ومتكاملة(٣٧). ومن هنا نشا علم اقتصادي جديد اطلق عليه اسم الاقتصاد السياسي. والسبب في ذلك انه لم يعد من الممكن ترك تنظيم الحياة الانتاجية في المجتمعات التي زادت تعقيدا لقانون او منطق

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

التضامن العفوي والاخلاق العامة الاحسانية او الانانية، واصبح تنظيم الاقتصاد العقلاني يحتاج الى رؤية عامة، سياسية، وطنية. وبالمقابل يمكن المجتمع المدني ان يكون مصدرا لقيم المحافظة والرجعية متلما يمكن ان يكون مصدرا لقيم الحرية والتقدم. ان ما يميز التنظيمات المدنية عن السياسية عنصران(٣٨).

١. التنظيمات السياسية مركزية، اي تختص بتكوين السلطة المركزية وحمايتها بينما تقوم التنظيمات المدنية على الخصوصية والاستقلالية الذاتية وتنمية التضامنات الجزئية، اي انها تنطبق على نشاطات لاتتدخل السلطة المركزية في تنظيمها المباشر. ٢. ان التنظيمات السياسية رسمية تبنى فيها العلاقات على اساس قانون ثابت وعام ومجرد وموضوعي، في حين ان التنظيمات المدنية تخضع لقواعد غير مرسمة، رهينة بصورة اكبر لتبدل ميزان القوى او العادة او الاخلاق او المصلحة. وهذا لايعني ان التنظيمات المدنية لاتقوم بالقسر والضبط الدقيق لسلوك الافراد، ولكن طريقة تكوين السلطة الداخلية فيها وممارستها مختلفة عن الشان السياسي. فهي بعكس ما يحصل في الدولة وتكوين السلطة المركزية، لا تخضع المؤسسات التي تعبر عنها لقواعد واحدة مقننة من قبل السلطة المركزية ولاتنطبق على الجميع او لاتطبق بالضرورة داخل المؤسسة المدنية بالدرجة نفسها(٣٩).

على هذا الاساس تعتبر مدنية كل التنظيمات الاقتصادية او الثقافية او الدينية التي تغطي ساحة النشاط الحر، غير المنظم بنظام واحد وعام من قبل السلطة، والذي يسمح لهذا النشاط بالنمو والتنافس والتجدد والابداع. ولا تعني الحرية هنا ان الفرد لاسلطة عليه غير نفسه، ولكنه يشير الى نمط مختلف من السلطة وطريقة ممارستها وادوات العقوبة والجزاء التي ترتبط بها بالمقاربة مع النمط السياسي للسلطة. وكذلك لايعني عدم تطبيق قانون عام ان التنظيمات المدنية

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

لاتخضع لقواعد وقوانين خاصة، ولكنها ليست شكلية ومرسمة كقوانين الدولة(٤٠).

لكن في جميع ذلك يتميز نشاط السلطة في التنظيمات المدنية بانه اكثر مرونة وتعددية، ويرتبط بعوامل عدة متبدلة، مثل الظروف التي تمارس فيها والتقديرات الشخصية للقادة وقوة العلاقات الشخصية وجاذبية المصالح المادية، انها تنظيمات شديدة المرونة وقابلة للتاقلم بشكل افضل مع الظروف والاوضاع المتبدلة في الزمان المكان، وبذلك لايمكن الاستغناء عنها، في حين يشكل الثبات والتجريد والعمومية وعدم التمييز في التطبيق شرطا تعريفيا من شروط السلطة السياسية(٤١).

فهدف السياسة كما قلنا ومبرر وجودها هو ان تساعد المجتمع المدني على تجاوز تشتته وتناقضاته، لا انكار قيمه وتنظيماته او فرض نماذج وانماط جاهزة عليه لايعرف اين يقيمها او يجد لها المكان والمجال بين بناه القائمة، ان ادخال انماط جديدة في مجتمع ما يتوقف على النجاح في معالجة البنى القائمة وافساح المجال او خلق شروط نمو هذه الانماط، وفي مقدمتها انماط السياسة الحديثة(٤٢).

لكن المهم في كل ذلك هو ادراك حقيقة اساسية وجوهرية هي ان الدولة والمجتمع المدني ليسا امرين مستقلين واحدهما عن الاخر، ولكنهما مترابطان كليا. ان لكل دولة ولكل نظام سياسي المجتمع المدني الذي يتماشى معه. بل ان المجتمع المدني هو جزء من السياسة بمعناها الواسع والعميق، اي ان من غير الممكن فهم مصير المجتمع المدني في الوطن العربي وتاثير العوامل والخارجية فيه من دون فهم تطور الدولة الحديثة وعلاقتها بالمجتمع. فالمجتمع المدني كالسياسة علاقة تكرسها سلطة معنوية او سياسية تضبط سلوك الافراد

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

والجماعات، فالحق في تقرير المصير هو فعليا الحق المشترك في تقرير المصير(٤٣).

الاصلاح والتغيير في الوطن العربي

من المستحيل تفسير الاوضاع السياسية في العالم العربي، بل والإسلامي كله، بمعزل عن العوامل الخارجية. ومدى مشروعية تدخل الغرب في التطور السياسي الداخلي للبلاد العربية. البعد التاريخي مهم جدا. فلو بدانا من منتصف القرن التاسع عشر مثلا، اي من ذروة انحدار الدولة العثمانية يستحيل تفسير التطورات التي حدثت في العالم العربي والإسلامي بانفصال عن العالم الاوروبي وعن التدخلات الخارجية. التي تفسر كل شيء في العالم الثالث بالاقتصاد وبالمصالح الاقتصادية الغربية، وافضل التاويل هو السياسي للوقائع. إن السياسة والتدخل الاستعماري اوجد كيانات الدول العربية الحديثة كالعراق وسوريا ولبنان والاردن وسواها(٤٤).

هذا التعامل الخلاق قد يتاتى عبر إعادة الاعتبار لكل من طرفي هذه المعادلة اي تسوية الصراع العربي الإسرائيلي والبدء في الإصلاح والتغيير، اي ان هاتين المعضلتين تحظيان بذات الاولوية في جدول الاعمال العربي وتترافقان زمنيا اي لا تتقدم إحداهما على الاخرى، وإذا ما تقدمت فينبغي الا يكون ذلك على حساب الثانية، اي باختصار تؤكد قدرتها على إحداث قطيعة بمعنى من المعاني، مع خبرة الماضي المتراكمة والجامدة التي افضت إلى الموقف الراهن.

وذلك لا يعني بالضرورة تقليص مكانة القضية الفلسطينية وتسوية الصراع العربي الإسرائيلي بل يعني بلورة صياغة نظرية ومنهجية مضمونها ان الإصلاح والتغيير ينبغي ان يعزز ويدعم تصدّر القضية الفلسطينية والتسوية

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

جدول الاعمال العربي، وان تخلق ديناميكية التغيير والإصلاح شروطا إقليمية وعربية ودولية تفضي في نهاية التحليل إلى تعزيز قدرة العرب الجماعية الديبلوماسية والتفاوضية على تمرير الحل الممكن وباقل الخسائر الممكنة في السياق الحالي. ولاشك ان إعادة تاسيس هذه المعادلة على هذا النحو تبدو اكثر جدة وجدية من تلك الحجج التقليدية مثل "رفض التغيير الوافد من الخارج" او "عدم ملاءمة التوقيت"، ذلك ان الولايات المتحدة اول من يعرف حقيقة هذه الحجج ووظيفتها في الماضي والحاضر، فهي تعرف ان جوهر هذه الحجج هو الإبطاء والإرجاء واستمرار الامر الواقع، كما انها تعلم من تجربتها الخاصة ان بناء الديمقراطية هو عملية داخلية سياسية طويلة تتشكل تاريخيا وليس وفق جدول زمني مفروض من الخارج.

بل تعلم الولايات المتحدة الامريكية اكثر من ذلك، فوفقا لدراسة اعدتها مؤسسة كارنجي لابحاث السلام فإن من بين النظم التماني عشرة التي تغيرت على وقع القوة العسكرية الامريكية منذ الحرب العالمية الثانية، خمسة منها فقط هي التي انجزت ديمقراطية يعتد بها ومتماسكة نسبيا الا وهي المانيا وإيطاليا واليابان، والتي توفرت فيها شروط مفتقدة في كثير من دول العالم التي تريد الولايات المتحدة دمقرطتها، بالإضافة إلى بنما وغرينادا اللتين تطمحان إلى الاعتراف بديمقراطيتهما(٤٥).

كذلك فإن بناء الديمقراطية يتطلب وجود قادةٍ سياسيين واحزابٍ قادرة على المنافسة بحرية وانتخاباتٍ مفتوحة وحرة. كما يتطلب فصلا بين السلطات، ومستوى اقل من الفساد وحماية للاقليات وحرية التنظيم والاجتماع والتعبير وصحافة حرة وهي عمليات بطبيعتها لا تتم بين عشية وضحاها بل بحاجة للانخراط في عملية تغيير ممتدة ومعالجة لمضاعفاتها الواقعية.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وهذه الشروط السابقة عندما تكون مفتقدة فإن المطالبة بالديمقراطية من قبل القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الامريكية ستتخذ طابعا انتخابيا داخليا بل وستخفض سقف الديمقراطية حتى يتواءم مع المنافسة الانتخابية.

فحينما تناثرت بقايا غبار معارك الحرب العالمية الاولى لم يتبق في سمع شعوب الشرق الاوسط بالذات غير همسات خافتة من حرية.عدالة. مساواة ولم يكن من سمع بالديمقراطية بمفهومها المعاصر الا من بعض من شاهد اوربا وعرف شيئا عن ذلك ؛ النمط من الاصلاح السياسي في العشرينات من القرن الماضي، ولكن بمرور الزمن وبتغلغل الاحتلال رويدا رويدا في صفوف المجتمع اخذت كلمة الديمقراطية تعني التطور الاجتماعي اولا ومن ثم اخذت طريقها الى المظهر العام السياسي؛ العامر شكلية و الناقص اهلية؛ فالبلاط والحكومة والبرلمان لم تؤسس وفق معايير سياسية تتمكن من النفاذ الى المجتمع وتصبح جزءا من تكويناته وسلوكياته المتطورة؛ وانما اراد بها المحتل ان تكون صورة مصغرة تنظر اليها عصبة الامم على انها انجاز متكامل يستحق ان يمنح الدول العربية كالعراق مثلا بموجبه مقعدا في مجلسه الدولي(٤٦).

ان الدور الخارجي في التاثير على الاوضاع الداخلية هو احد حقائق السياسة في المنطقة العربية. والدلائل على ذلك كثيرة، سواء منها ما يتعلق بالتاريخ الحديث او بالاوضاع الراهنة. ولا يتعلق بهذا المعطى بل باشكال التدخل ووظائفه.ان للضغط الخارجي على النخب الحاكمة فعالية لان هذه الاخيرة تمتلك شعورا بانها تستمد شرعيتها من رضا الخارج عنها، مما يضعه امام مسئولية كبيرة. والتدخل المفيد والمطلوب ليس عسكريا ولا ماليا بل هو معنوي، يختص بتوفير فسحة من الحريات وبتقليص الميل القمعي للانظمة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

والدور الاوروبي في دعم الثورة العربية الكبرى معروف: "الشريف حسين" في وجه الاتراك. كما دعم الاوروبيون مشروع إنشاء الدولة السعودية.

لا يمكن فصل الاحداث الكبرى المتعلقة بالتطورات السياسية في البلاد العربية عن العنصر الاستعماري: فقد اتت بريطانيا والقوى الاوروبية بمشروع تقسيم فلسطين واقامت إسرائيل وسط العالم العربي. اكثر من ذلك، وضعت بريطانيا فكرة الجامعة العربية. اما الإدعاءات الاخرى عن توجهات قومية عربية في تفسير نشوء الجامعة فيجب ابقاؤها في حجمها الحقيقي. لقد ارادت بريطانيا تحقيق نوع من الموازنة مع خلق إسرائيل في فلسطين، فاعطت وعد بلفور ثم تبنى تشرشل من بعد مشروع الجامعة العربية وذلك لا يمكن فصل التطورات الداخلية في البلاد العربية عن تاثيرات النفوذ الاستعماري من جهة، والنفوذ الغربي عموما من جهة ثانية. وكما قال الشاعر الرصافي:

علم ودستور ومجلس امـ ـة كل عن المعنى الصحيح محرف
اسماء ليس لنا سوى الفاظها اما معانيها فليست تعـــــرف

وهكذا كانت صورة الديمقراطية امام المجتمع العراقي. ومع ذلك فقد رضي الشعب بها مظهرا؛ ثم اخذ الوطنيون يطورون موقفهم منها لوضعها على قاعدة التطبيق العملي؛ فماكادت العشرينات من القرن الماضي تاذن بالانصراف حتى اخذت صيغ الديمقراطية السياسية تتغلغل في مفاهيم الطبقة المثقفة عن طريق الاحزاب السياسية والجمعيات و البرلمان والصحافة.. الخ ثم اخذت تنمو وتنشط في اوساط اخرى كالمدارس الثانوية والكليات والنقابات العمالية والجمعيات الثقافية والاجتماعية وهكذا اصبحت تتهيا لاخذ موقعها التدريجي في الاسرة و القرية والمدينة(٤٧).

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وقد عمل الساسة الوطنيون بكل طاقاتهم لترسيخ قواعدها وتفكيك ما يحول دون استقرارها لتكون نمطا من التقاليد المتداولة سياسيا ؛ وما هي الا سنوات قليلة جدا حتى جاء الانقلاب العسكري الاول عام ١٩٣٦ ليقوض الاسس وليبدل المفاهيم التى كانت في بدايتها التدريجية الايجابية الاولى االتي لو قيض لها النمو والازدهار بشكل طبيعي خارج دائرة العنف والانقلابات والتقاتل على السلطةو بصيغ غير مشروعة ولا ديمقراطية، لتجنبنا كثيرا من الكوارث والمصائب التي مرت، ولمنع هذا التدهور والتراجع الى الخلف الذي لايستاهله وعي الطبقة المتقفة العراقية في الداخل او المنتشرة اليوم في بقاع الارض والتي تسهم في رفد الحياة الانسانية. تعطي صورة مصغرة واقعية عن خلفية ما عرف سابقا وما اصبح عليه الوضع الحالي.

مع تتابع الانفجارات السياسية والامنية في المنطقة، ومع الدخول الامريكي والبريطاني الكبير عسكريا وسياسيا وإعلاميا على هذا الجزء من العالم، اصبحت الدراسات التي تصدرها مراكز الابحاث الغربية والدوريات والمطبوعات غزيرة ومتنوعة. هذه الدراسات متفاوتة في موضوعيتها او في درجة تلوينها الإيديولوجي، ولكن كثرتها وتتابعها تدل على ان لدى الغرب القدرة على الحركة والدينامية ونقد الذات، وعدم الجمود عند الاساليب او عبادة الاسلوب، ليس من اجل ان البحث عن الحقيقة فضيلة وحسب، بل لان الحقيقة هي التي تجدي السياسي والدول الغربية، اي ان الفائدة العملية الصرفة هي التي تقود عملية البحث عن القراءة الصحيحة، او محاولة الوصول الى هذه القراءة.

إن عصر الهيمنة الامريكية في منطقة الشرق الاوسط قد انتهى وبدات مرحلة جديدة. ويعتقد ان تشكيل المرحلة الجديدة سيعتمد على عناصر جديدة ومتعددة للتاثير على منطقة الشرق الاوسط، الامر الذي يعني ان على الولايات

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

المتحدة ان تعتمد على الدبلوماسية وليس على اليد العسكرية للمحافظة على مصالحها. وفي استعراض تاريخ المنطقة السياسي وعلاقة المنطقة بالغرب نستذكر انهيار الدولة العثمانية في نهاية الحرب العالمية الاولى، ثم مرحلة الاستعمارين الفرنسي والانكليزي الى لحظة انتهاء الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من صعود الوعي القومي والمرحلة السياسية القومية في المنطقة العربية بكل احلامها وعنفوانها، ثم مرحلة الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، ثم مرحلة حرب ١٩٦٧ وما بعدها، وإدراك الغرب، والراي العام فيه، لمدى اهمية المنطقة من منظور الامن الاقتصادي باعتبار النفط هو دم الحياة المعاصرة(٤٨).

ان انعقاد القمة العربية في تونس، في ظروف بالغة الدقة والحساسية، وكانت انظار المواطنين العرب في كافة الاقطار العربية، إلى هذه القمة التاريخية، مؤملين ان تتمكن من التوافق مع تطلعاتهم المشروعة نحو الديمقراطية والإصلاح والتغيير واحتواء الضغوط الوافدة من الخارج.

اما من ناحية التوقيت والظروف السياسية لاعمال هذه القمة وقراراتها المرتقبة، فإنها تتميز بمعالم واضحة ومعطيات محددة، ليس بمقدور القمة تجاوزها او تجاهلها، بل ينبغى ان تؤخذ بعين الاعتبار، فتوقيت القمة العربية في تونس تزامن مع تسريب مبادرة الشرق الاوسط الكبير والمبادرة الاوروبية حول إصلاح الشرق الاوسط، ودمقرطة نظمه السياسية وتعديل نظمه الاقتصادية والثقافية، ويفصل توقيت عقد القمة العربية شهران عن عقد القمم الثلاث الاخرى، التي وهي قمة الاطلسي التي عقدت في اسطنبول والتي تبحث مبادرة الشرق الاوسط الكبير بمشاركة اوروبية، وقمة الدول الصناعية والقمة الاوروبية الامريكية كما ان توقيت عقد القمة العربية يفصله ايضا شهران عن

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

موعد تسليم السلطة للعراقيين واجراء انتخابات الرئاسة الافغانية، ولايخفى مدلول هذه التوقيتات والاحداث المتزامنة، في ما يتعلق بعقد القمة العربية، فكان المطلوب من القمة ان تنخرط في مضمون هذه التوقيتات والمواعيد من زاوية قراراتها التي ستصدرها، بل وكان القمة العربية لا تعدو ان تكون موعدا كونيا للإصلاح والتغيير، على غرار هذه القمم التي تنصب اعمالها حول بند التغيير في الشرق الاوسط كبيرا كان ام صغيرا.

ومن ناحية الظروف السياسية التي انعقدت فيها القمة فثمة سيل منهمر من المبادرات والافكار حول الإصلاح ومضمونه وسبل إجرائه، فمن ناحية المبادرة الامريكية والمشروع الاوروبى ومن ناحية اخرى المشروعات العربية للإصلاح سواء تعلق الامر بإصلاح الجامعة العربية او الإصلاح الداخلي، او تعلق بالمبادرات الفردية او الثلاثية او الجماعية(٤٩). في ظل سباق المبادرات وافكار الإصلاح، وبصرف النظر عن المفاضلة بينها او التدقيق في محتواها ومضمونها، فالامر المؤكد ان هاجس الإصلاح والتطلع إليه اصبح معيارا حقيقيا لتوافق النظم والحكومات مع تطلعات مواطنيها بل معيار الشرعية والاستمرار، واصبح مطلب الإصلاح والتغيير معيارا لتقويم قرارات القمة ونجاحها في الوقت ذاته، ذلك ان خطاب ومفردات الإصلاح السياسى والتغيير اصبحت تشغل بؤرة التفكير في العالم العربي الشعبي والرسمي.

مع نهاية الحرب الباردة، اصبح النفوذ الامريكي في ذروته، وتجلى ذلك النفوذ في حرب الكويت... ثم السعي الامريكي الحثيث لعملية السلام بين اسرائيل والعرب. كل هذه المراحل اعتبرت من «الشرق الاوسط القديم». غير ان هذا الشرق الاوسط القديم بدا بالتغير، ومن ابرز محطات تغيره قرار الرئيس بوش الابن غزو العراق، ومن ثم بروز التوتر والصراع الطائفي في

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

العراق وخارجه. ان سقوط نظام الشرق الاوسط القديم كان بسبب الانظمة العربية الحاكمة وتركيا الكمالية وإيران الشاه التي لم تفلح في الصمود امام احزاب الاسلام السياسي، وتعبت كثيرا في منازلة ومصارعة هذه الاحزاب الاسلامية، التي تضع البرنامج السياسي في «النواة» من مشروعها. ومما ساعد على تفشي تاثير الإسلام السياسي، هو حالة العولمة التي سهلت الحركة والتواصل بين هذه الجماعات، وايضا الانتشار الاعلامي وانحلال قبضة الدولة عن الاعلام ساعد في زيادة حالة «التسييس» لدى شعوب هذه المنطقة، مع الدفق الاعلامي والصور المتلاحقة عن الحرب في العراق ولبنان وفلسطين.

ويتوقع الخبراء ان امريكا، ورغم هذا كله، سوف تظل اللاعب الاكبر في المنطقة، لكن سوف تدخل قوى اخرى تزاحمها مثل روسيا والصين والاتحاد الاوربي، وان ايران سوف تصبح إحدى القوى المؤثرة كما ان الوضع في العراق سيستمر على ترديه وسيصير مركزا للصراع يؤثر على جواره. واسعار النفط ستصعد اكثر وصولا الى سعر مائة دولار نظرا لزيادة الطلب من الهند والصين.

ان هذا يعني زيادة هائلة في المداخيل للدول المنتجة للنفط وعلى راسها السعودية وإيران، وسيؤدي هذا، مع توتر المنطقة، الى سباق تسلح وانفاق عسكري عال لدول المنطقة. كما ان ذلك الصعود والاستمرار في زيادة الضغط الاجتماعي والسياسي، مع افكار مثل فكرة صراع الحضارات لصمويل هنتجتون، او نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما بدات بمقالات نشرت في مطبوعات مثل شؤون خارجية. ربما تصبح هذه الافكار والتصورات قائدة للعهد الامريكي الجديد، مع صعود الحزب الديموقراطي، وضعف تاثير المحافظين الجدد، ولكن من الضروري التذكير بان الحرب في العراق، وبسبب

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

الاخطاء التي ارتكبتها الادارة الامريكية في استتمار النصر، هي التي تقود هذا الجدل في اوساط الباحثين والمفكرين في امريكا، كما ان السجال حول تعريف وتشخيص الوضع الامريكي في العراق تحول الى مادة جدال سياسي بين الحزبين، فهذه القضية، قضية العراق، يعتبرها الديموقراطيون، قضية جمهورية من بدايتها الى نهايتها، وبالتالي فهم لا يريدون تحمل تكاليفها ومسؤليتها امام الناخب الامريكي.

ان النقاش في الغرب حول موضوع الترابط الاشتراطي، وهل يمتلك القدرة على التاثير، وهل مفعوله سلبي او إيجابي، وهل يستنفد طاقات المجتمع قبل النظام. والحقيقة ان تعقد النظم، وقدرتها على المناورة اكبر مما يتصور بكثير، فهى نفسها اول من يعتمد على امريكا واول من يحرض ضد امريكا.

ان العقلية الامريكية والاوروبية عقلية غير مركبة، تتعامل مع المسائل بمنطق بسيط، وهي بالتالي لا تفهم التعقيد والحيل الموجودة في العالم العربي والشرق. هوعالم يحتوي على علاقات وتعقيدات يصعب على الغربيين إدراكها. والذي يحصل في العراق يدل على ذلك، ويوقعهم في الذهول. فخبرتهم لم تؤهلهم لتصور التعقيدات الموجودة في العراق وهي نفسها موجودة في المنطقة كلها. هناك ما يمكن اعتباره عوامل "ثقافية"، سلبية كالمراوغة وازدواج السلوك الشائع في مجتمعاتنا.

لقد اسهم الغربيون في ذلك إلى حد كبير، فهم حافظوا على هذه النظم ودعموها. فالوضع المحافظ المتخلف القائم في بلاد البترول ليس بحال مقطوع الصلة عن دعمهم لهذه الاتجاهات. فهم يريدون اخذ البترول وان تسكت المجتمعات عن ذلك، فعملوا بالتالي على حجز نموها الطبيعي. تحت دعاوى احترام الخصوصية الحضارية، يتعايش في السعودية الان المباني الهائلة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

والمنشات الحديثة والنساء المنقبات المقهورات. وبعبارة اخرى، إذا تصورنا السعودية من غير بترول لكان باب مجتمع قد انفتح ولنزعت المراة نقابها.المشكلة ان الثروة النفطية حافظت على هذا المجتمع وجمدته بهذا الشكل، واصبح بالتالي مجتمعا مشوها بكل معنى الكلمة، وهو امر لا ينفصل اطلاقا عن اثر العنصر الخارجي.

قبل ان ينزلق جورج بوش في مستنقع العراق احدث تصريح قيل في البيت الابيض، يرفض ضرب المتظاهرات المصريات امام نقابة الصحفيين ويدينه، اثرا معنويا كبيرا لدى الناس. فاكثرهم عداء لامريكا اي اليساريين والناصريين، كانوا راضين.

لقد عصف عصر العولمة بعديد من مقومات السيادة والاستقلال وخلق حالة تداخل كونية في الامن والمصالح السياسية والاستراتيجية، ولابد ان نعي حدود الاستقلالية في الوقت الراهن وطبيعتها في اللحظة الحالية اما التعلل بخصوصية الاوضاع الثقافية والحضارية فهي حجة ليست في صالحنا إجمالا. فهل تعني هذه الخصوصية الإبقاء على تردي اوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية وتدني كافة مؤشرات التنمية المستدامة الاقتصادية والبشرية في ما يتعلق بالحجة القائلة باننا نعرف طريقنا إلى الإصلاح بافضل مما يعرفه غيرنا فالسؤال هو لماذا تتعثر محاولات الإصلاح ولماذا تبدو خطوات الإصلاح تقيلة باكثر مما ينبغي بل ولماذا يتم تفريغ بعض الخطوات الإصلاحية من مضمونها قبل ان تولد، لقد اقتحمت العولمة العالم العربي كسائر مناطق العالم وتركت تاثيرها في كل مناحي الحياة(٥٠).

ان الخطاب العربي الرسمي حول التغيير هو خطاب تبريري، ينطوي صراحة وضمنا على الإرجاء والتجاهل والالتفاف حول المطالبة بالإصلاح،

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وهو ما فهمه الجميع في الداخل والخارج. وذلك يقتضي خطابا جديدا حديثا حول الإصلاح والتغيير يقطع الصلة بالممارسات الخطابية والبلاغية العربية، خطاب يتميز بالاصالة والجدة والجدية والصدق في التعامل مع مطلب الإصلاح كضرورة عربية وقومية وقطرية في ان واحد، وذلك يقتضى الاعتراف الصريح بالحاجة إلى الإصلاح وصياغة اجندة واضحة لمسالك هذا الإصلاح ودروبه السياسية والقانونية والاقتصادية وبلورة جدول زمني للتنفيذ يكتسب المصداقية الداخلية والدولية اخذا في الاعتبار الظروف والملائمات السياسية والحاجات والعقبات الممكنة بشرط الا يكون ذلك مرة اخرى تبريريا.

النتائج

لم تكن مبادرة "الشراكة الاوروبية المتوسطية" التي توجها إعلان "برشلونة"، والمبادرة الاميركية المعروفة باسم الشرق الاوسط الموسع الكبير، والتي عدل اسمها في مؤتمر قمة التماني الذي عقد في الولايات المتحدة بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١١ ليصبح "شراكة من اجل التقدم ومستقبل مشترك مع منطقة الشرق الوسط الكبير وشمال افريقيا"، سوى الحلقة الاخيرة من سلسلة مبادرات يجعل من المنطقة نفوذا حيويا للاوروبيين ومن تم للاميركان. فمن مشروع الشرق اوسطية إلى مؤتمر مدريد إلى مشروع منطقة التجارة الحرة الاميركية الاوسطية، إلى جانب المبادرات الاوروبية كالمبادرة الالمانية والدنماركية وسواها، نلاحظ تنافسا مستمرا بين الولايات المتحدة الاميركية واوروبا تجلى بصيغة مطالب او مبادرات او حتى إملاءات تفرض على بلدان المنطقة انطلاقا من مصالح ورؤى واهداف الغرب وحاجات توسعه المتواصل.

وكانت الانتقادات الموجهة إلى المبادرات الإصلاحية الخارجية، إن هذه المبادرات خارجية ومفروضة وغير متفق عليها مع شعوب المنطقة وحكوماتها،

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وإن كان التمييز بين المبادرات الاوروبية والاميركية ضروريا هنا من خلال حرص اوروبي اوضح على تفهم قضايا المنطقة وما ينجم عنه من دور اوروبي اكثر توازنا إزاء مشكلات الصراع العربي الصهيوني والموقف من احتلال العراق مقارنة بالموقف الاميركي. إلا ان التعديلات التي ادخلها الاميركيون بعد مؤتمر قمة الثماني على مبادرتهم قد اسقطت ولو شكليا هذا الاعتراض. إذ تضمنت وثيقة " خطة مجموعة الثماني لدعم الإصلاح "القول صراحة " نرحب بالرغبة والتزام مواصلة التحديث اللذين عبّر عنهما زعماء المنطقة" وذلك في إشارة إلى القمة العربية في تونس. وتضيف الوثيقة" ومن خلال التشاور والحوار مع زعماء واشخاص في المنطقة، واستجابة لاولويات الإصلاح التي حددتها المنطقة، بما في ذلك تلك التي حددتها جامعة الدول العربية، طوّرنا خطة اولية لدعم الإصلاح". وذلك من خلال إنشاء منبر للمستقبل يضم مسؤولين ووزراء وقوى مدنية من مؤسسات الاعمال يقدم عبرها المشاركون اراءهم في الإصلاح ويعملون مع الحكومات على صعيد التنفيذ. وإذا كانت التعديلات السابقة قد اسقطت صفة الفرض والخارجية عن المبادرة الاميركية ولو شكليا، إلا ان الاعتبارات الحقيقية الكامنة وراءها ما زالت تعبّر في عمقها عن رؤية ومصالح الاخر وتعكس إلى حد بعيد وجهات نظره فيما يجب ان يكون عليه مستقبل المنطقة حتى تتلاءم مع المتغيرات المرغوبة ولا تشكل عوائق في طريقها.

ولم تات المبادرات نتيجة طبيعية لتطور حاجات تلك المجتمعات. وهنا من المفيد ان نميّز بين الإصلاحات التي تمليها الضرورات والمصالح الداخلية العربية، والتي ظهرت ولو جزئيا بصيغ توجهات او خطط إصلاحية في هذا

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

البلد العربي او ذاك(سورية، السعودية، المغرب، مصر)، وبين الإصلاحات الخارجية التي تحكمها اسس مختلفة.

وإن هذه المبادرات، والاميركية منها خصوصا، لا تتوافق مع المواقف المعلنة للولايات المتحدة المعروفة بانحيازها المتواصل لإسرائيل واحتلال العراق، الامر الذي اضعف مصداقية اميركا وهزّ بعنف صورتها في المنطقة على ما تبين استطلاعات الراي العام في اميركا نفسها. فالخلط المتعمد بين الإرهاب وحق الشعب في مقاومة الاحتلال والسيادة والاستقلال قد ادخل اميركا بقيادة المحافظين الجدد في تناقض جوهري مع حركات التحرر وحقوق الشعب ومع ملايين متزايدة في العالم ممن يرون في محاولات الهيمنة الاميركية خطرا وجوديا يهدد انتماءهم الحضاري وهويتهم الثقافية. وبعد ان كانت الولايات المتحدة الاميركية حتى النصف الاول من القرن العشرين معروفة بدعمها لحركات التحرر من الاستعمار التقليدي الإنجليزي والفرنسي ورفعها للواء حقوق الإنسان في العالم، حدث تبادل درامي في الادوار الإمبراطورية بين اوروبا واميركا لتصبح اوروبا اكثر تفهما لحقوق الشعب وتتزعم اميركا حركة التوسع والهيمنة بسبب تربعها على هرم القوة الاقتصادية والعسكرية في العالم. باختصار، لم تقدم الولايات المتحدة الاميركية، سواء بعلاقاتها المميزة مع الانظمة العربية المغلقة والحليفة لها، او من خلال مواقفها المعلنة والمتحيّزة لإسرائيل المثل او النموذج الذي يمكنها من حيازة المصداقية الضرورية لنجاح مبادراتها في المنطقة.

ونلاحظ ان الموقف العربي من المبادرات الخارجية بالتململ وعدم الوضوح خصوصا على الصعيد الرسمي العربي الذي اصبح محرجا .فلا هو قادر على الرفض الصريح للمبادرات الخارجية، والاميركية منها خاصة، نظرا لان غالبية

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

البلدان العربية تعتبر نفسها حليفة لواشنطن بصيغة او باخرى، ولا يستطيع القبول بالمبادرات لاسباب تخص كل دولة عربية على حدة ولاسباب عامة ومشتركة بين البلدان العربية.

التوصيات

يجب ان تكون الاصلاحات بمستوى التحديات والامنيات التي تعلقها عليها الجماهير العربية والمواطنون وحتى تتمكن من احتواء الضغوط الامريكية والاوروبية، عليها ان تعيد النظر في الخطاب الرسمي حول التغيير و في منطلقات ا لتغيير ومبادئه ومضمونه.

رفض التغيير الوافد من الخارج وتاكيد الاستقلالية العربية في مواجهة هذا التغيير المصحوب بضغوط خارجية وخصوصية الاوضاع الثقافية والحضارية العربية، اننا نعرف طريقنا إلى الإصلاح والتغيير باكثر وبافضل مما يعرفه غيرنا، اي اولئك الغرباء عن منطقتنا.

على الصعيد العربي العام فإنه بمقدور العرب ان يعيدوا الحياة الى التكامل الاقتصادي العربي واليات العمل العربي المشترك السياسية والعسكرية وان تركز المحاولة على تلك القضايا التي تحظى بالاجماع والتوافق وان تتجنب تلك القضايا التي تثير الخلاف.

على العرب والعالم تجاوز التحديات الراهنة ليس بالقفز فوقها وإنما معالجتها بطريقة تتلاءم والاوضاع العربية الراهنة وتعتمد مبدا التدرج في الاصلاح والجدية في التنفيذ والالتزام وتتمكن من احتواء الضغوط الخارجية والامريكية على نحو خاص وتاكيد قدرة الذات العربية والعقل السياسي العربي على مواجهة معضلات التطور السياسي المحلي والعالمي، بينما ان العالم

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

والولايات المتحدة واوروبا تطمح الى فرض شروطها ورؤاها للاصلاح في العالم العربي.

يجب التاكيد على ان نموذج التغيير والاصلاح المعد سلفا، في دوائر الخارجية والديبلوماسية الامريكية يمثل حلم المحافظين الجدد واداتهم لتامين الهيمنة الامريكية في المستقبل، ولكنه بالتاكيد لا يمثل تطلعات المواطنين والجمهور العريض في العالم العربي، فالتغيير في العالم العربي او في غيره يرتبط بمشاركة واسعة من قبل المواطنين عبر اقنية ودروب سياسية وقانونية، يحميها القانون والشرعية وتستند الى قواعد اجتماعية وثقافية راسخة ومن ثم يكتسب التغيير شرعيته في الثقافة الوطنية. اما حلم المحافظين الجدد في البيت الابيض وغيره من الدوائر باجراء التغيير وفقا للنموذج المعد سلفا فسيفتقد الى الشرعية ويحمل شبهة الرضوخ للاقوى والاذعان لمطالبه، ومن ثم قد يخلق مقاومات من انواع شتى قد تفضي به الى مسالك عبثية ونتائج لا تتسم بالاستقرار.

ان رفض نموذج "الشرق الاوسط الكبير الذي تقترحه الولايات المتحدة الامريكية ينبغي ان يتاسس على الفرضيات والمنطلقات التي يستند اليها، فثمة من ناحية تقسيم العالم وفقا لهذه المبادرة لقوى تصنع التاريخ وتوجه مسيرته، وقوى اخرى ليس امامها سوى ان تسير في الخط الذي رسمته هذه القوى الكبرى، فالولايات المتحدة الامريكية كقطب احادي مهيمن ترى انها عبر شراكتها مع اوروبا قادرة على فرض ارادتها وتحديد مسار التاريخ الكوني، وهذه القوى الكبرى تواجه الارهاب وقوى الشر بينما ان الدول الاخرى في الشرق الاوسط وغيره عرضة لان تكون ادوات للارهاب وليست قادرة على مواجهته.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

The European Role in the Reform in the Arab Homeland

Dr. Rawa Zeki Younis
Assistant Professor, Department of Economical And Social Studies,
Centre for Regional Studies, University of Mosul

Abstract

It is Impossible to explain developments that happened in the Arab and Islamic world separatedly the from the world, European and external interference. Which explains everything in the third world economy and Western economic interests, and the best interpretation of the facts is political. That politics and the interference of colonial entities created modern Arab states such as Iraq, Syria, Lebanon, Jordan and others.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

المصادر والهوامش التي وردت في البحث

1.David Miller , ed. , The Blackwell Encyclopadia of political thought Oxford , uk , New york , Blackwell , 1995.

٢. محمد عبدالفتاح الخمراوي، الاصلاح السياسي في مصر بين مطرقة الهيمنة وضغوط الداخل بعد احداث ١١ سبتمبر، قسم العلوم السياسية، كلية التجارة، جامعة الاسكندرية، ٢٠٠٧.

٣. د.رواء زكي يونس الطويل، متطلبات الممارسة الديمقراطية والتغيير الاجتماعي، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد ٢٧، العراق،٢٠٠٥.

٤. ا. د. مجذاب بدر عناد الغريري، العولمة اسلوب للهيمنة الامبريالية وتكريس تبعية الاقتصادات النامية، مجلة دراسات دولية، العدد ١٣، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠١، ص ١-٣٠.

٥. د.عبدالعليم محمد، ضرورة تبني خطاب جديد للاصلاح والتغيير، مجلة افكار، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، القاهرة، ٢٠٠٧.

٦. د.رواء زكي يونس الطويل، ضوابط الديمقراطية وحقوق الانسان في ظل التنمية المستدامة، مجلة اداب الرافدين، العدد ٣/٤٤، جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٦، ص ١١٦٣ – ١١٩٦.

٧. ا. د. علي اومليل، تعقيب على بحث حقوق الانسان في الوطن العربي المعوقات والممارسة في ندوة ازمة الديمقراطية في الوطن العربي، التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، بيروت، ١٩٨٧، ص ٥٥٣.

8. Tatu Vanhanen , prospects of Democracy , A study of 172 Countvies , New york , London , Routledge , 1997 , pp.28-31.

٩. سعد الدين ابراهيم واخرون، ازمة الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧، ص٥٥٤.

10. J. Denis Derdyshire and Ian Derdyshire , spotlight on world political systems , An Introduction to Comparative Government , chamders Political Spotlights , Edinburgh , chambers , 1991 , p.49.

١١. د. عبدالعليم محمد، مصدر سابق.

١٢. القران الكريم، سورة الكهف، اية ٢٩.

١٣. الخمراوي، مصدر سابق.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

١٤.القران الكريم، سورة الانبياء، اية ١.

١٥. د.علي خليفة الكواري، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢٠.

١٦. القران الكريم، سورة النمل، اية ٩٠.

١٧. القران الكريم، سورة الحجرات، اية ١٣.

١٨. محمد شلتوت، الاسلام عقيدة وشريعة، ط ١٦(بيروت، القاهرة) دار الشروق ١٩٩٢، ٤٤٥ - ٤٤٦.

١٩. القران الكريم، سورة النساء، اية ١٣٥.

٢٠. الحمراوي، مصدر سابق، ص ١٢-١٣.

٢١. خالد العسلي، الشرى في العرف القبلي، الشورى في مكة قبل الاسلام، المجمع الملكي لبحوث الحضارة، الشورى في الاسلام،ج ١، عمان، ١٩٨٩، ص٣٧.

٢٢. اومليل، مصدر سابق، ص ٥٥٤.

٢٣. د. عبد العليم محمد، مصدر سابق.

24. Waterbury , fortuitous Byproduct , lisa Anderson , ed , Transitions to Demoeracy , New york , Columbia University Press , 1999 , p261.

٢٥. د.رواء زكي يونس الطويل، اتجاهات التطور التقني الالكتروني في الدول العربية والنامية، مجلة كلية العلوم الاساسية، جامعة الموصل، ٢٠٠٥.

٢٦. المعنى المضمر في الاصلاحات هو انقسام العالم لقوى تصنع التاريخ واخرى تسير فيه كرها. وبالاضافة الى ذلك فإن المشروع الامريكي يستند الى فرضية اخرى اكثر اهمية الا وهي ان اسرائيل وعدوانيتها وعنصريتها وممارساتها الاجرامية في حق الشعب الفلسطيني والشعوب العربية لا علاقة لها بخريطة الشرق الاوسط و"مخزونه الارهابي" ومعوقات الاصلاح فيه. وينفي المشروع عن اسرائيل اية تهمة واية مسؤولية عن تعويق عملية البناء والدّمقرطة والتطور في العالم العربي.

٢٧. د.عبد العليم، مصدر سابق، ص٧-٨.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

٢٨. في عهد الرئيس بوش الابن ومغامراته العسكرية في افغانستان والعراق على نحو خاص وتاسيس عدوانه على العراق على دعاوى كاذبة بشكل مطلق حول تملك العراق لاسلحة الدمار الشامل، بزعم بان مغامرته في العراق كانت مجرد حلقة في مشروع كبير لتغيير العالم والشرق الاوسط الكبير تحديدا.

٢٩. د.محمد عابد الجابري، مسالة الهوية، العروبة والاسلام والغرب، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥، ص١٥.

٣٠. د.محمد راتب الحلاق، غوايات العولمة وترهاتها، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، بغداد، العراق، ٢٠٠٢، ص ١٠٣-١٢٦.

٣١. بما يهدد اسس وامكانات الحديث عن كيان عربي واحد او وحدة عربية ثقافية واقتصادية في المستقبل وتفكيك عرى الترابط التاريخي والجغرافي والثقافي والديني بهدف فرض السيطرة الامريكية والاسرائيلية على المنطقة.

٣٢. د.علي خليفة الكواري، المسالة الديمقراطية في الوطن العربي، ط ١، سلسلة كتب المستقبل العربي (١٩)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠، ص١٠٥.

٣٣. د.محمد جابر الانصاري، الديمقراطية ومعوقات التكوين السياسي العربي، مجلة المستقبل العربي، السنة ١٨، العدد ٢٠٣، ١٩٩٦، ص٤-١٢.

٣٤. د.عبدالعليم، مصدر سابق، ص ٨-٩.

٣٥.د.محمد عبدالفتاح الحمراوي، مصدر سابق،٧-٨.

٣٦. ان من الصعب فهم الحد الفاصل بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي من دون فهم طبيعة السلطة والسياسة. فحدود المجتمع المدني تختلف ايضا مع تغير النظم الاجتماعية وما كان يعتبر في حقبة ما من شؤون المجتمع المدني يمكن ان يصبح من شؤون المجتمع السياسي، والعكس صحيح وقد كان الدين كمنبع لتكوين السلطة المركزية ومرتكز لها في الدولة العربية الاسلامية التاريخية يدخل في دائرة المجتمع السياسي بل المحور الرئيسي له وقد تحول في الدولة والنظام السياسي الحديث في اوروبا بعد الثورة السياسية الى شان من شؤون المجتمع المدني، وفرض عليه ذلك.

٣٧. د.رواء زكي يونس الطويل، السياسات الاقتصادية على التغييرات الهيكلية في الاقتصاد التركي للفترة ١٩٨٠-١٩٩٥، سلسلة شؤون اقليمية رقم(٦)، جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ٢٠٠٨، ص٣٢.

٣٨. برهان غليون، المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، الفصل السادس عشر(بناء المجتمع المدني العربي، دور العوامل الداخلية والخارجية)، مصر، ٢٠٠٧.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

٣٩. ولا يعني الشان الخاص هنا الشان الفردي. **فالدين ليس** شانا خاصا، ولكنه شان عام من حيث انه ينظم علاقة تشمل جماعة كبرى، ولكن الخاص يعني هنا ما هو مباح ولا شان للدولة في تنظيم علاقاته الداخلية، او ما كنا نطلق عليه بلغتنا الكلاسيكية ميدان الحرمات التي يشكل خرقها تهديدا للسلام العام وتجاوزا من قبل السلطة المركزية لصلاحياتها.

٤٠. ان التنظيم المدني ينطوين ككل تنظيم بشري، على عناصر سلطة داخلية تتضمن استخدام وسيلتي القمع والاقناع في سبيل ضبط نشاط الافراد المنخرطين فيه وسلوكهم.

٤١. و فائدة هذا التعريف انه يعين لنا بالضبط حدود المستوى من التنظيم الاجتماعي الذي نطلق عليه المجتمع المدني، في العصر الحديث فالجمعيات والنقابات والتكوينات العشائرية والطائفية والقبلية والعائلية، والثقافة والاخلاق والعادات والتقاليد، كلها من ميدان المجتمع المدني، وليس هناك في هذا المعنى اي مجال ولاقيمة للتمييز بين المجتمع المدني والمجتمع الاهلي الذي يسعى من خلاله **بعضهم** الى ادانة جزء من النشاط المدني وتحبيذ جزء اخر، اذ بالرغم مما يمكن هذا التمييز ان يقدمه من وسيلة لانكار شرعية وجود التكوينات والعادات والقيم القبلية او الطائفية، فانه يمنع من فهم طبيعة القوى الفعلية التي تحرك المجتمع كمجتمع مدني، وبالتالي من رؤية المهمات التي ينبغي على السياسة في المجتمعات العربية ان تعالجها وتقدم اليها الحلول.

٤٢. برهان غليون، المجتمع المدني في الوطن العربي، مصدر سابق.

٤٣. د. عبدالله النعيم، الاسلام والدولة والسياسة جدلية الفصل والوصل، مجلة شؤون الاوسط، العدد ١٢٥، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ٢٠٠٧، ص٤٤.

٤٤. اسامة الغزالي حرب، اثر تدخل الغرب في التطور السياسي الداخلي للبلاد العربية، اصدارات مبادرة الاصلاح العربي، مصر، ٢٠٠٧.

٤٥. د.عبدالعليم محمد، مصدر سابق،٢٠٠٧.

٤٦. خالص عزمي، الديمقراطية والاصلاح السياسي في العالم العربي، العراق، ٢٠٠٧، ص١.

٤٧. خالص عزمي، مصدر سابق.

٤٨. مشاري الذايدي، من هو سيد الشرق الاوسط، جريدة العرب الدولية، العدد ١٠٢٥٥، ٢٠٠٦.

٤٩. د. رواء زكي يونس الطويل، العلاقات العربية الاوربية نحو الشراكة الاستراتيجية، الندوة ٢٦، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٧.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

٥٠. خالد غزال، موقع العالم العربي في العولمة، مجلة شؤون الاوسط، العدد ١٢٤، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٧٥.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com